تفسير إبن كثير

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : (خذ العفو) يعني : خذ ما عفا لك من أموالهم ، وما أتوك به من شيء فخذه . وكان هذا قبل أن تنزل " براءة " بفرائض الصدقات وتفصيلها ، وما انتهت إليه الصدقات . قاله السدي .وقال الضحاك ، عن ابن عباس : (خذ العفو) أنفق الفضل . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : قال : الفضل .وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : (خذ العفو) أمره االله بالعفو والصفح عن المشركين عشر سنين ، ثم أمره بالغلظة عليهم . واختار هذا القول ابن جرير .وقال غير واحد ، عن مجاهد في قوله تعالى : (خذ العفو) قال : من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تحسسوقال هشام بن عروة ، عن أبيه : أمر االله رسوله صلى االله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس . وفي رواية قال : خذ ما عفا لك من أخلاقهم .وفي صحيح البخاري ، عن هشام ، عن أبيه عروة ، عن أخيه عبد االله بن الزبير قال : إنما أنزل) خذ العفو) من أخلاق الناس وفي رواية لغيره : عن هشام ، عن أبيه ، عن ابن عمر . وفي رواية : عن هشام ، عن أبيه ،

عن عائشة أنهما قالا مثل ذلك واالله أعلم .وفي رواية سعيد بن منصور ، عن أبي معاوية ، عن هشام ، عن وهب بن كيسان ، عن ابن الزبير : (خذ العفو) قال : من أخلاق الناس ، واالله لآخذنه منهم ما صحبتهم . وهذا أشهر الأقوال ، ويشهد له ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم جميعا : حدثنا يونس حدثنا سفيان - هو ابن عيينة - عن أمي قال : لما أنزل االله ، عز وجل ، على نبيه صلى االله عليه وسلم : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " ما هذا يا جبريل ؟ " قال : إن االله أمرك أن تعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك .وقد رواه ابن أبي حاتم أيضا ، عن أبي يزيد القراطيسي كتابة ، عن أصبغ بن الفرج ، عن سفيان ، عن أمي عن الشعبي . نحوه ، وهذا - على كل حال - مرسل ، وقد روي له شاهد من وجوه أخر ، وقد روي مرفوعا عن جابر وقيس بن سعد بن عبادة ، عن النبي صلى االله عليه وسلم ، أسندهما ابن مردويهوقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا معاذ بن رفاعة ، حدثني علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة الباهلي ، عن عقبة بن عامر ، رضي االله عنه ، قال : لقيت رسول االله صلى االله عليه وسلم فابتدأته ، فأخذت بيده ، فقلت :

يا رسول االله ، أخبرني بفواضل الأعمال . فقال : " يا عقبة ، صل من قطعك ، وأعط من حرمك ، وأعرض عمن ظلمك " .وروى الترمذي نحوه ، من طريق عبيد االله بن زحر عن علي بن يزيد ، به . وقال حسنقلت : ولكن " علي بن يزيد " وشيخه " القاسم أبو عبد الرحمن " ، فيهما ضعف .وقال البخاري قوله : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) " العرف " : المعروف . حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني عبيد االله بن عبد االله بن عتبة ، أن ابن عباس قال : قدم عيينة بن حصن بن حذيفة ، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس - وكان من النفر الذين يدنيهم عمر - وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته - كهولا كانوا أو شبابا - فقال عيينة لابن أخيه : يابن أخي ، لك وجه عند هذا الأمير ، فاستأذن لي عليه . قال : سأستأذن لك عليه . قال ابن عباس : فاستأذن الحر لعيينة ، فأذن له عمر [رضي االله عنه] فلما دخل عليه قال : هي يا ابن الخطاب ، فواالله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم بيننا بالعدل . فغضب عمر حتى هم أن يوقع به ، فقال له الحر : يا أمير المؤمنين ، قال االله لنبيه صلى االله عليه وسلم : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وإن هذا من الجاهلين ، واالله ما جاوزها عمر

حين تلاها عليه ، وكان وقافا عند كتاب االله ، عز وجل . انفرد بإخراجه البخاريوقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني مالك بن أنس ، عن عبد االله بن نافع ; أن سالم بن عبد االله بن عمر مر على عير لأهل الشام وفيها جرس ، فقال : إن هذا منهي عنه ، فقالوا : نحن أعلم بهذا منك ، إنما يكره الجلجل الكبير ، فأما مثل هذا فلا بأس به . فسكت سالم وقال : (وأعرض عن الجاهلين)وقول البخاري : " العرف : المعروف " نص عليه عروة بن الزبير ، والسدي ، وقتادة ، وابن جرير ، وغير واحد . وحكى ابن جرير أنه يقال : أوليته عرفا ، وعارفا ، وعارفة ، كل ذلك بمعنى : " المعروف " . قال : وقد أمر االله نبيه صلى االله عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف ، ويدخل في ذلك جميع الطاعات ، وبالإعراض عن الجاهلين ، وذلك وإن كان أمرا لنبيه صلى االله عليه وسلم فإنه تأديب لخلقه باحتمال من ظلمهم واعتدى عليهم ، لا بالإعراض عمن جهل الحق الواجب من حق االله ، ولا بالصفح عمن كفر باالله وجهل وحدانيته ، وهو للمسلمين حرب .وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة في قوله : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) قال : هذه أخلاق أمر االله [عز وجل] بها

نبيه صلى االله عليه وسلم ، ودله عليها .وقد أخذ بعض الحكماء هذا المعنى ، فسبكه في بيتين فيهما جناس فقال :خذ العفو وأمر بعرف كما أمرت وأعرض عن الجاهلينولن في الكلام لكل الأنام فمستحسن من ذوي الجاه لينوقال بعض العلماء : الناس رجلان : فرجل محسن ، فخذ ما عفا لك من إحسانه ، ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه . وإما مسيء ، فمره بالمعروف ، فإن تمادى على ضلاله ، واستعصى عليك ، واستمر في جهله ، فأعرض عنه ، فلعل ذلك أن يرد كيده ، كما قال تعالى : (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) [المؤمنون : 96 - 98]وقال تعالى : (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها) أي هذه الوصية (إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ باالله إنه هو السميع العليم) [فصلت : 34 - 36]